اثر نهج البلاغة في شعر الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ)

Peak of Eloquence in the Poetry of Al- Sharif Alradi died (406)

م.د. هاشم جعفر الحيدري [١]
Dr. Hashim Jafar AL-Haidary

ملخص البحث

كان لكلام الامام علي -عليه السلام- الأثر الكبير في رفد اللغة العربية وأدابها من الحكمة والموعظة، حين صاغ خطبه و حكمه بمفردات رائعة لا يعلوها قول سوى القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة. ولم يحدث أن جمعت الا بعد أكثر من أربعة قرون، حين جاء الشريف الرضي ليؤلف منها كتاب نهج البلاغة. ولم يكتف، حيث أخذ يصوغ معانيها وقسم من مفرداتها في قصائد شعرية جميله.

Abstract

Imam Ali's speech had the great impact on providing Arabic language and literature with wisdoms and orations, when he worded his speeches using wonderful words which nothing can match except for the glorious Qur'an and the prophetic traditions. His speeches were not compiled until four centuries elapsed when EL-Sharif AL-Radhi authored 'peak of Eloquence'.

١- جامعة اهل البيت -عليهم السلام-/كلية الاداب.

http://abu.edu.iq

He also began to write beautiful poems out of its words and meaning.

المقدمة

كان لكلام الإمام علي بن أبي طالب -عليه السلام- وخطبه الأثر الكبير في رفد الثقافة العربية بمفردات غزيرة ومواضيع كثيرة عملت في مساعدة كثير من ذوي النباهة في تنمية مواهبهم. فقد حصر في كلامه الشريف كل صنوف البلاغة وفنون الفصاحة، فلم يترك غرضا من أغراض الكلام إلا وقد تناوله وأبدع فيه، على رغم من بعد عهدنا به وانقطاع أجيالنا عن السماع بمفرداته و احتوائها على غرائب الألفاظ وجزالة التركيب مما يجعل الذي بعيد عن الاختصاص إلى التعذر في الفهم والوصول إلى مضامين الجمل. لبعد العهد به واختلاف الاجيال عن مداولته. لذا نصح المختصون اللجوء إلى قراءة ما قاله -عليه السلام- من اجل تنمية المواهب والقدرة اللغوية وفهم ثقافة العرب الأصيلة. وجب علينا الرجوع إلى كتاب نهج البلاغة، والغوص فيه. لقد اتسم هذا الكلام بالحلاوة الواضحة من بداياته الى أواخر مفرداته، حتى اعتبر ومنذ عهد بعيد من نفائس اللغة. لقد انفرد الأمام علي -عليه السلام- بأسلوبه الخاص واسترساله العجيب إلى أن بلغ أقصى درجات الشرف والرفعة بعد كلام الله وكلام رسوله -صلى الله عليه وآله وسلم-.

إن غزارة مادته ورفعة أسلوبه وجمعه لعظيم المعاني، كان سببا لحفظ اللغة العربية وخلودها فقد ساهم بعد القرآن والحديث النبوي الشريف من صونها من الضياع أو الموت كبقية اللغات التي عفا عنها الدهر ثم دثرت أو ماتت.

ومن هنا عد كتاب نهج البلاغة مصدرا مهما لكل الشعراء والأدباء في كل العصور، لما يمتلكه من خزين لغوي وثراء معنوي. اضافة إلى ما بلغه من أوفق عالي من الحكمة والموعظة. فراح الشعراء يغرفون من هذا اليم الذي ليس له نهاية مستعينين بمعينه الذي لا ينضب. فكلما نهلوا من مفرداته ارتقت إشعارهم وأصبحوا من الشعراء والخطباء الذين لهم مكانة مرموقة في الاوساط الاجتماعية والأدبية. لأن مفرداته مقتبسة من مفردات القرآن الكريم.

و ما قام به الشريف الرضي من جمع كلام سيد البلغاء -عليه السلام-، هو اثراء المكتبة مما كان ينقصها من هذا الفيض الثمين. و أن هناك قاسما مشتركا بين ما جاءت من خطب واقوال وحكم، وبين ما حملت اشعاره التي نظمها الشريف الرضي. فما كان إلا ان نبدأ في محاولة اظهار هذه المعاني لكل طلاب الآدب، ولاسيما محبي اهل البيت -عليهم السلام-.. املا من ان يوصل بين بلاغة الجد ونباهة حفيده، فقد سلطنا الضوء على نتاجهما العظيم، محاولة في ان نساهم في رفد المرفق الأدبي من حاجاتهم إلى مثل هذا النوع من الأدب. أن هذا البحث يعد البداية في الطريق الطويل، لذا نأمل أن يتطور حتى يصل إلى ما يستحق من إبداع ورقي ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾.

ينقسم هذا البحث إلى ثلاثة مباحث. فالمبحث الأول يشمل أسباب تعلق الشريف الرضي بكتاب نهج البلاغة والسعي إلى جمعه. والمبحث الثاني، نسبه واسمه وحياته وكنيته. وأما المبحث الثالث اخذ نموذجا من الخطب الشريفة للأمام علي -عليه السلام- والتي قام الشريف الرضي باقتباس ما تحتويه من معنى، ونظمها ابياتا شعرية زخرت بها قصائده. وكذلك التطرق إلى الإمام علي -عليه السلام- واقواله التي جمعت ورتبت بكتاب سمي بنهج البلاغة.

http://abu.edu.iq

ان التشابه بين الشخصيتين كبير جدا، فكلاهما كانت لهما منزلة رفيعة من حيث النسب والانتساب الى الرسول -ﷺ-، ناهيك عن علميتهما التي ميزتهما عن اقرانهما كلا حسب الزمن الذي عاشه. ناهيك عن الظلم والمظلومية التي حفت بحياتهما، فكان الصبر والحكمة علاجا لها. هذا لا يعني ان هناك تشابه بين الشريف الرضي والإمام علي -عليه السلام- من حيث المنزلة والنسب والعلم. وإنما هي محاولة للشريف الرضي السير على منهاج الإمام -عليه السلام- وتقليده قدر المستطاع.

ان الشواهد المقتبس معانيها تارة ومن مفرداتها تارة اخرى، مما قاله الإمام -عليه السلام-، وصياغتها بقصائد واشعار في ديوان الشريف الرضي، كثيرة. لذا كان من الافضل أن اختار نماذج قليلة كي لا اطيل في البحث، ولكي اترك للأخرين أن يكملوا المشوار والله من وراء القصد.

المبحث الاول:

أسباب تعلق الشريف الرضي بكتاب نهج البلاغة:

استدل الشريف الرضي (٤٠٦هـ) على هذه التحفة الأدبية الثمينة وعرف كيف ينهل منها ما يحتاجه العلماء والأدباء، وهو أبدع أبناء زمانه واشعر الطالبين[٢] واغزرهم علما. عالما ولغويا له ميزته الخاصة تفرقه عن معظم الشعراء إن لم يكن كل الشعراء. حين بدأ في قول الشعر وأجاد و أبدع. فقد تفتحت مواهبه الشعرية وهو في سن العاشرة من العمر [٣] بأجمل ما يمكن أن ينظم شاعر في غرض ما من الأغراض حتى وصف بأعظم شعراء زمانه[٤]، وعند تصفح ديوانه يحار الناقد ولاسيما الذي يملك موهبة شعرية. ونتيجة للظروف التي مر بها على مراحل حياته خلقت منه صاحب نفسية قلقة ومتوترة وثائرة وهي نتيجة المحن والنكبات التي ألمت به وبعائلته[٥]، فكان شعره أصيلا صادقا في كل المقاييس الاجتماعية والسياسية وحتى في مجال الغزل الذي اتصف بالعذرية والعفة والحشمة. وذلك بحكم التجربة التي عاشها.

ومن الواضح أن هناك أكثر من سبب جعل الشريف الرضي يميل كل الميل وبحماس إلى التعلق بكلام الإمام -عليه السلام- وبجعله في قمة اهتماماته. منها اهتداؤه بكلام جده الإمام علي -عليه السلام- حين شدهُ الحماس الكبير لجمع أقواله وخطبه، لما فيها الأثر في رفع روحه المعنوية، يؤكد من خلالها مكانته الاجتماعية وانتماءه الأسري مما خلق في نفسه القوة والثبات وكلام الأمام في هذا المجال كثير فعندما ينصح ابنه محمد بن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل(تزول الجبال ولا تزل. عض على ناجذك، اعر الله جمجمتك، تد في الأرض قدمك...)[٦] أن مثل هذه العبارات تنتشل من استسلم قلبه إلى اليأس وترفع من معنوياته. ومن هنا بدأت في نفسه الثورة بعد أن شعر بإحساسه الخاص والداخلي بالعزلة فكيف بالشريف الرضي، وهو الأعلى نسبا والأكثر موهبة[٧].

٢- ينظر تاريخ الآدب العربي (عصر الدول والإمارات ٥) شوقي ضيف . دار المعارف القاهرة ٢٠٠٧ ص٣٧٢
٣- ينظر المصدر نفسه
٤- ينظر عبقرية الشريف الرضي -زكي مبارك-ص٧
٥- من صور البطولة والحماسة في شعر الشريف الرضي-محمد جميل شلش-ص١٠
٦- كتاب نهج البلاغة . شرح الشيخ محمد عبدة . ج١ص٣٦
٧- المصدر نفسه٢ص١١

http://abu.edu.iq

ومن ناحية أخرى، وجود في كلام الأمام –عليه السلام– من المفردات والعبارات قد انقطعت عن جيله لما فيها من غريب الألفاظ، وجزالة التركيب والتعبير[٨]. وبهذا راح يؤكد لخصومه ومحبيه من خلال مواهبه مدعوما بطموحه الذي لا حدود له بأنه أهلا للتربع على عرش الثقافة والأدب في الزمن الصعب الذي لا يحكم فيه الحاكم العربي، حيث سلب الحكم من العباسيين حكم الملوك البويهيين وهم الأغراب عن اللغة العربية.

اسمه نسبه وكنيته:

هو أحمد حسين الطاهر ذو المناقب أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب –عليهم السلام–.ولي أبوه إمارة الحج سنة ٣٥٤هـ. وقبض عليه من قبل عضد الدولة سنة ٣٦٩ هـ وحمل إلى قلعة فارس، وذلك خوفا من تعاظم شأنه[٩]. وفي مصدر أخر ذكر اسم الشريف الرضي وهو أحمد أو محمد بن الطاهر ذي المنقبين ابي احمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب –عليهم السلام–، وكنيته أبو الحسن الرضي[١٠].

أما نسبه من أمه، فهو أبن فاطمة بنت الحسين بن أحمد بن الحسن الناصر (صاحب الديلم) بن علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن أبي طالب–عليه السلام–

الملقب بالناصر الأصم أو الأطرش شيخ الطالبين توفى سنة ٣٠٤[١١]. أي انه ينتسب إلى الإمام علي –عليه السلام– من جهة أبيه وأمه فقد حق له القول أن يطلق عليه شريف النسب ومن أشرف من هذا النسب عند العرب ؟[١٢]. و توفيت ولدته سنة ٣٨٥هـ وحزن عليها كثيرا. ومما قاله في رثائها:

أبـــكيك لـــو نقـــع الغليـــل بكـــائي وأقـــول لـــو ذهـــب المقـــال بـــدائي
وأعـــوذ بالصـــبر الجميـــل تعـــزيا ولـــو كـــان بالصـــبر الجميـــل عزائـــي[١٣]

وأخوه المرتضى أبو القاسم علي بن الحسين (٣٥٥ت٤٣٦) كان إماما في علوم الشريعة[١٤].

أما كنيته كان يدعى الشريف الرضي أبو الحسن و الشريف الرضي ذو الحسنيين و ذوالحسبين والعلوي و الشريف الأجل[١٥]. وكان يفضل الرضي حين يقول[١٦]

فمـــا أمـــل مـــديح أنـــت ســـامعه وعاشـــق العـــز لا يـــؤتى مـــن الملـــل

٨– عبقرية الشريف الرضي ص١٧
٩– ديوان الشريف الرضي . ج٢/ص٦١١و٦٣٢
١٠– ديوان الشريف الرضي ج١/ص٥
١١– الشريف الرضي وجهوده النحوية ص١٥.
١٢– كتاب نهج البلاغة ص٨. الجامع في تاريخ الادب العربي القديم حنا فاخوري
١٣– ديوان الشريف الرضي برثاء امه ص١٨/ ج١
١٤– الشريف الرضي وجهوده النحوية ص١٥
١٥– راجع ديوان الشريف الرضي ج١/ص٦ والشريف الرضي وجهوده النحوية . د. حازم سلمان الحلي . بغداد ١٤٠٧هـ/١٩٨٦ص١٠
١٦– المصدر نفسه . ص١١

http://abu.edu.iq

مـــا عـــذر مثلـــي في نقـــص وقولـــه أني الرضـــي وجـــدي خـــاتم الرســـل

ولادته ونشأته و فاته:

ولد في بغداد سنة ٣٥٩هـ من أصل عربي هاشمي كريم،وفي عام ٣٦٨هـ وفارق اباه هو لم يبلغ السنة التاسعة، وترك في نفسه أثرا كبيرا وخيم الحزن والأسى على البيت كله وخاصة على ولده الصغير مما كان أن فجر في قلب هذا الطفل الصغير موهبته الشعرية وهو في العاشرة من العمر [١٧] لم يقتصر غياب رب الأسرة على الأثر النفسي فحسب بل على الحالة الاقتصادية،حيث حجب عنهم العطاء الشهري الذي كان الأب يناله نتيجة عمله. كما صودرت جميع أموالهم وممتلكاتهم. مما اضطرت والدته الكريمة ببيع حليها وأملاكها والعيش بالكفاف لكونهم لم يقبلوا أي هبة أو مساعدة مقرونة بالعطف.[١٨]

في مثل هذا الظرف العصيب بما حمله من فاقة كانت تجرح عزة نفسه وكبريائه ورفعة مكانة عائلته الاجتماعية، فلم يجد من سبيل سوى التحلي بالصبر و التذرع إلى الله داعيا في أطلاق سراحه. وقد استجاب الله دعاءه وذلك في عام ٣٧٥هـ/ ٩٨٦م أي بعد سبع سنوات فعادت الفرحة والبهجة إلى البيت الكريم ولاسيما إلى الشريف الرضي عندها شكر الله على نعمائه و مدح الحاكم على ما أسدى لهم من فضل في عودة رب الأسرة إلى أهله وذويه.[١٩] وأول قصيدة قالها في هذه المناسبة شكر بها الوزير المطهر بن عبد الله وزير عضد الدولة ومدح فيها أيضا أباه حين قال[٢٠]

أقـول لـدهر تـاه إذ صـيد ليثـه كـذلك يصـاد الليـث والليـث راقـد
أثلـم هـذا النصـل بالضـرب ضـارب وزعـزع هـذا الطـود بالـوطء عائـد

إلى أن يقول:

ينـال الفـتى مـن دهـره قـدر نـفسه وتأتي علـى قـدر الرجـال المكايـد

وفي قصيدة اخرى يقول [٢١]

فاســلم امــير المــؤمنين لغبطــة معقــودة بــذوائب الأعــوام
وتمــل ايام البقــاء ولا تــزل تطغــى بشــكرك ألســن الاقــوام

لقد نشأ في بيت علم ومعرفة وتقوى ورث منه كل صنوف الأدب والفقه. حيث تتلمذ على يد كبار علماء عصره فأشرف على حفظه للقرآن الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ) والنحو أخذه على يد أبي سعيد الحسن بن عبد الله المرزباني النحوي(ت٣٨٦هـ) وكذلك على يد أبي الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)[٢٢].الذي أولاه رعاية خاصة قبل أن تنزل به النكبة ويسجن فهيأ له كل المستلزمات ليستثمر

١٧- الشريف الرضي في رثائه ص١٣
١٨- يتيمة الدهر. للثعالبي ج٣ص١٣٦ط٢القاهرة ١٩٦٥والشريف الرضي وجهوده النحوية ص١٧
١٩- انظر ديوان الشريف الرضي . ج٢ص٧٧٦ حين قال (هيهات طاعتك النجاة وحبك التقوى وشكرك افضل الاقسام)
٢٠- ديوان الشريف الرضي ص٢٣٧
٢١- انتظر ديوان الشريف الرضي ج٢ص٧٧٦
٢٢- الشريف الرضي جهوده النحوية ص١٦-١٧١

http://abu.edu.iq

ويطور نبوغه وذكائه. ساعده في ذلك أخوه الكبير المعروف بعلم الهدى،الذي كان يمتلك في بيته مكتبة كبيرة حوت من الكتب بمختلف صنوفها وأنواع علومها حتى حوت أكثر من ثمانين ألف مجلد[٢٣].

إضافة الى وجود في جانب الكرخ مكتبة عظيمة هي مكتبة بيت الحكمة صاحبها أبو نصر سابور ابن أردشير وكان وزيرا الدولة البويهيه. فلم يدع الشريف الرضي فرصة إلا واغتنمها من أجل الزيادة في معرفته[٢٤].

وكان نتيجة هذه الأجواء التي ترعرع فيها خلقت عنده مواهب كثيرة في شتى العلوم والمعارف ولاسيما ملكة الشعر فأجاد بها وبرع في جميع الأغراض الشعرية وأكثر منها إلا الهجاء، ويعود ذلك إلى سمو أخلاقه ورفعتها من جهة ومن جهة ثانية حلمه وترفعه على الذي يبدي بهجائه أو النيل منه.

ونجده يبدي عفته وترفعه بصورة أوضح وأدق وهو يفتخر بنفسه ويبين ما تربى عليه من خلق كريم ورفيع يأبى أن يهبط إلى مستوى الذين يستخدمون سلاح الهجاء في الهجوم على خصومهم على الرغم من أنهم لم يكونوا من المبتدئين بذلك [٢٥].

توفى والده أبو الطاهر سنه ٤٠٠ هـ وحزن الشريف الرضي على أثر ذلك حزنا كبيرا فراح يرثيه بقصائد كثيرة. وفي سنة ٤٠٣ تقلد نقابة الطالبين وخلع عليه السواد وكان أول الطالبين يخلع عليه السواد[٢٦].

كتبه ومؤلفاته:

كانت حياة الشاعر الشريف الرضي مفعمة بالعمل المثمر حيث خلف لنا مجموعة من الكتب والمؤلفات وصل إلينا منه الكتب الاتية:.

١.كتاب في معاني القرآن

٢.كتاب بعنوان تلخيص البيان مجازات القرآن. وخمسين يوما

٣.كتاب مجازات الآثار النبوية.

٤.كتاب حقائق التأويل في متشابه التنزيل.

٥.كتاب خصائص الأئمة، هو كتاب ألفه في ريعان شبابه، أعيد طبع الكتاب في المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف باسم خصائص أمير المؤمنين سنة ١٣٦٩هـ/١٩٤٩ يشمل على أخبار الأئمة.

٦. سيرة والده الطاهر وقد ألفه في سنة ٣٧٩ هـ

٧ .كتاب أخر قضاة بغداد – هذا الكتاب مفقود.

٢٣- انظر تاريخ الادب العربي احمد الزيات ص٢٨٥

٢٤- الكنى والالقاب الشيخ عباس القمي ص٤٣٩

٢٥- المصدر نفسه ص٨٥

٢٦- كتاب نهج البلاغة والشريف الرضي وجهوده النحوية ص٢٠-٢١.

http://abu.edu.iq

وفاته:

توفى الشريف الرضي في السادس من المحرم سنة ٤٠٤هـ أو ٤٠٦ /١٠١٦م.ولم يكمل العقد الرابع من عمره الشريف فلم يناهز على ٤٥أو ٤٧ عاما ودفن في داره بمسجد الأنباريين. ثم نقل جثمانه إلى مدينة كربلاء عند ضريح جده الامام الحسين -عليه السلام-.[٢٧]

الإمام علي بن أبي طالب -عليه السلام- ونهج البلاغة:

لا يمكنني أن أصل من المكانة حتى أسدي المدح والثناء لولي رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- لكن هناك أمورا لابد من الإشارة إليها، والتذكير بها فقط لا غير.حين أمتلك كل الواهب، واصبح بذلك قمة في جميع المجالات الحياتية و الإنسانية، فقد عهدنا أن نجد شخصية قد بلغت مرحلة متقدمة من الشجاعة، وأخرى بالكرم، وبالفصاحة والوفاء والتضحية والإثار والامانة إلى آخر الصفات النبيلة التي تتفاخر بها الأمم والشعوب. ولكن الإمام علي -عليه السلام- قد جمعها كلها في شخصيته الكريمة. وهذا ما لا نشاهده في تاريخ البشرية، اضافة بلوغه التقوى والزهد والمروءة والعدل والمساواة بين الناس والرعية، حتى أصبح نموذجا يحاول الاقتداء به كل عاقل سليم لكن هيهات أن يبلغوا ما وصل إليه -عليه السلام-.فهو تلميذ ووصي الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم-

لكننا نحاول أن نسلط الضوء على واحدة من مواهبه الفذة والخاص بالحقل الأدبي الذي برع فيه و الذي هو جز من البحث.

لقد استطاع الأمام -عليه السلام- وخلال فترة قصيرة من عمره الشريف أن يرفد اللغة العربية والأدب العربي بتحفة أدبية من خطب ورسائل ووصايا، لا تقدر بثمن ووحيدة بقيت تعلن عن التحدي من حيث الفصاحة والبلاغة و سبك المعاني وجميل المفردات إلى يومنا هذا على أن يأتي أحد الأدباء أو الفصحاء سواء كانوا حضرا أو بدو بشيء مما قاله -عليه السلام- من جميل البيان وعظيمه، ومازال التحدي قائما إلى يومنا هذا ومازال العجز قائما إلى يومنا هذا أيضا وسيظل.

إنَّ هذا المعجز الأدبي الذي يعد أقل درجة من كلام الله ورسوله -صلى الله عليه وآله وسلم-.، حين شمل في طياته وفصوله وبين دفتيه البيان الساحر والجميل الباهر من الحكم والوعظ حتى عد بترجمان القرآن. حين راح يسدي النصح والحكمة لمن يريدها معززا خطبه وحكمه بالآيات القرآنية الكريمة،على سبيل المثال حين يقول -عليه السلام-(يأتي على الناس زمان عضوض، يعض الموسر فيه على ما يديه ولم يؤمر بذلك فقال تعالى ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾[٢٨].... إلى اخر الخطبة. كتاب الله الذي لا يمسه الباطل من بين يديه، مستدلا بها ومستنبطا الحكم والقوانين لسعادة الإنسانية ورفاهيتها. فلم نجد بابا من أبواب العلم والحكمة والفقه والأدب.وتاريخ الأمم، إلا وقد ولج فيها وفسرها وأعطى الجواب الصحيح واصدر الحكم السليم، والذي يصب في خير سعادة الدنيا والآخرة. مستخدما أسلوبا فريدا وبيانا ساحرا. أن هذا العقد الثمين والمفرط يحتاج من ينظمه أو يجمعه، ولم يستطع كائن من كان أن يقوم بهذه المهمة، إلا من يبلغ من الفصاحة والبلاغة والفهم والعلم والفقه.وبعد أربعة قرون جاء الشريف الرضي الذي توفرت به تلك

٢٧- الشريف الرضي وجهوده النحوية ص٢٦

٢٨- القرآن الكريم سورة البقرة اية ٢٣٧

http://abu.edu.iq

المواصفات التي تعطي للمهمة حقها ونجح في أدائها فهو سليل العائلة الكريمة ويحمل جينات جده الأول الذي بلغ من العلم والفقه ما مكنه في جمع ما قاله أبن عم سيد البشر -صلى الله عليه وآله وسلم-. فراح يصنفه وفق الخطب والحكم كلا في مجالها وبعد ذلك يصوغ قصائده الشعرية التي تحمل في معانيها نسبة عالية من الأفكار والمفاهيم التي جاءت في خطبه، والتي كثر فيها وعظ المسلمين خاصة والناس عامة وتحذيرهم من غدر الزمان والركون إلى الأهواء. ونحن لا ننكر الذين سبقوه في التطرق بكلام وخطبه -عليه السلام- ممن سبقوا الشريف الرضي في جمعه والتطرق إلى بيانه والذين توفوا قبل أن يولد الشريف الرضي على سبيل المثال لا الحصر نصر بن مزاحم المنقري المتوفى سنة ٢١٢هـ في حين ذكر بعض الخطب في كتابه (وقعة صفين) وكذلك محمد بن سعد المعروف أبن سعد المتوفى سنة ٢٣٠هـ في كتابه (الطبقات الكبرى) وكذلك أيضا أبو يوسف يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكيت المتوفى سنة ٢٤٦هـ في كتابه (إصلاح المنطق) وغيرهم الكثير حين اعتمدوا في كتبهم على الشواهد من الخطب و الأشعار التي قالها الإمام علي بن أبي طالب -عليه السلام- والتي ذكرت في كتاب نهج البلاغة الذي جمعه الشريف الرضي[٢٩].

المبحث الثاني:

وجد الشريف الرضي في بلاغة الإمام علي -عليه السلام- خير مصدر وأنقى منبع ينهل منه الحكم ويستعين بمفرداته بعد القرآن و الحديث النبوي الشريف، اللذان هما أيضا المصدر الوحيد لعلميه والذي استسقى منه مؤلف نهج البلاغة، حيث استطاع أن يوظف الخزين اللغوي والثقافي في استنباط أحكام القرآن واستخراج من حكمه ومعانيه ما ييسر أمور المسلمين ويعرفهم في دينهم وشريعتهم بعد ما أصاب الإسلام وهو في ريعانه بل ونعومة أظفاره ما أصابه من انشقاقات وارتداد نحو الجاهلية، فكان الإمام علي -عليه السلام- بحنكته وثقافته وقوة منطقه وحسن أدارته، أن يقف أمام ذلك السيل العارم فكان أن حافظ على دفة السفينة وأوصلها إلى بر الأمان رغم قوة التيار المضاد المتمثل بالحزب السفياني الذي عماده البيت الأموي، الذين وظفوا جهودهم من أجل القضاء على الاسلام وعلى كل من أمن به وانتمى له مخلصا، معتمدين على المؤامرات والدسائس والاغتيالات في تنفيذ مخططاتهم الشيطانية أملا منهم الرجوع إلى الجاهلية الأولى التي قضى عليه الإسلام. فما الحروب التي أشعلوها منذ الفتنة الكبرى التي كانت نتائجها قتل الخليفة عثمان بن عفان إلى حرب الجمل والنهروان وصفين وتأمرهم في قتل الإمام علي -عليه السلام-.

خطب الإمام -عليه السلام-وصياغة المعاني..

إن الشريف الرضي جاد ملتزم، لا يكاد يفارق جديته والتزامه في قصائد ديوانه،سواء كان في مجال الشعر أو الأدب هي التي أهلته أن يستعين بالخطب والأقوال التي جاءت على لسان الإمام علي -عليه السلام- وظفها الشريف الرضي في مناسبات عديدة ليصوغ من معناها أو ما تضمنت من أفكار يوصل من خلالها ما يقصد الإمام في أقواله وخطبه لها وقع في النفوس أكبر عند العرب من الخطب والنثر، حين

٢٩- نهج البلاغة بين صحة النسب إلى المؤلف وتوثيق النص مجلة اهل البيت - منصور مذكور شلش و صبري ابراهيم السيد/ العدد ١١ ص١٣سنة ٢٠١١

http://abu.edu.iq

نجدهم يحفظون القصيدة مهما طالت أو كثرت أبياتها. فعندما يجد الإمام علي -عليه السلام- يحذر من الدنيا يذم الزمن ويحذر من الهوى وطول الأمل قائلا:

((أيها الناس إن أخوف ما أخاف عليكم اثنتان إتباع الهوى وطول الأمل، فأن أتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة. ألا وإن الدنيا قد ولت حذاء)) إلى أخر قوله الكريم[٣٠].

في ضمن هذا المعنى صياغة ذلك المضمون كتب قصيدة يحذر فيها من الركون إلى الدهر والوثوق به حين يقول:

ادعوك والدهر له وقفة ... ما بين إصداري و أورادي
لمثلها أدعو بنات السري ... تخلطا عناقا بأعضاد

إلى أن يقول:

ولو أمنتم الدهر أحداثه ... صافحت كف الضيغم العادي[٣١]

ويقول في مكان أخر:

تأبى الليالي أن تديما ... بؤسا لخلق أو نعيما
ونوائب الأيام يطرقن ... الورى بيضا وشيما
والدهر يوجف فيه ... معوج الطريق أو مستقيما[٣٢]

قد اقتبس الشريف الرضي المعنى، قد استخدم الشريف الرضي كلمة الدهر وهي مرادفة للدنيا في المعنى، حين حذر الإمام علي -عليه السلام- من اتباع الهوى والصدود عن الحق ومجافاته، مؤكدا أن الدنيا لا تستقيم لأحد، ولا يأتمنها عاقل، فتراها تتغير من سعادة ورفاه إلى عذاب وشقاء وعسر. ومن تعلق بالدنيا وراح يراهن عليها بطول الامل، انسته الاخرة بعد ان شغلته الاولى لا برخائها فقط بل بعسرها ايضا.

إن الشاعر الشريف الرضي قد قوم شاعريته باستخدام المعاني التي وردت في خطب الإمام علي-عليه السلام-، مما يثبت أن الشريف الرضي قد اخذ المعنى من قول الأمام علي -عليه السلام-هناك تقارب وتشابه من حيث الفكرة.

ولو انتقلنا إلى غرض أخر عرف به الإمام علي -عليه السلام- واشتهر به وهو الزاهد، ويذكر في ما ذكر في كتاب نهج البلاغة، فيذكر لنا خطبته أو موعظته التي يدلي من خلالها بتجربته العملية ويعرضها على كل ذي عقل سليم، لم يأمن إلى الدنيا ويخدع بزهوها حي تزهو له، حين يقول في خطبته -عليه السلام-

((انظروا إلى الدنيا نظرة الزاهدين فيها، الصادفين عنها، فإنها والله عما قليل تزيل الثاوي (أي المقيم) الساكن، وتفجع المترف الآمن، لا يرجع ما تولى منها فأدبر، ولا يدري ما هو آت منها فينتظر، سرورها مشوب بالحزن)) [٣٣].

٣٠- نهج البلاغة خطبة ج١رقم ٤٢ص٧٠
٣١- ديوان الشريف الرضي ٢٢٨ص
٣٢- المصدر نفسه ص٨٥٠
٣٣- نهج البلاغة خطبة رقم١٠٣ ص١٤٥الصافين تعني المعرضين.

http://abu.edu.iq

إن مثل منزلة الإمام علي –عليه السلام– حين يعزز كلامه حين يقسم بأية من لفظ الجلالة لهو عظيم الشأن من حيث أهميته ووقع تأثيره على السامع، ولم يأت هذا القسم من فراغ وانما ينبع من حتميته المطلقة ومن قناعة تامة لا يشوبها أي شك والتي تنبع من نفس كلها إيمان وثقة بما يقوله.

يأتي حفيده الشريف الرضي ليترجم هذا المعنى وبصورة شعرية، لكن بلوحة جميلة مستخدما أسلوب الخطاب ليرسخ المعنى فيقول في مناسبة خاصة[٣٤]

قد آن أن يسمعك الصوت	أنائم قلبك أم ميت
يا باني البيت على غرة	أمامك المنزل والبيت
أيجزع المرء لما فاته	وكل ما يدركه فوت
وإنما الدنيا على طولها	ثنية مطلعها والموت

ان الشريف الرضي هنا يعطي للدهر أو الدنيا القدر الكبير في مواجهة ما تؤول اليه الأمور. فكأنما يسلح نفسه استعدادا للأخرة التي هي الدائمة وما يتمتع في الأولى من عظيم النعم فهو قليل حين يقاس ما في الاخرة. وهذا ما يتضح من قول الإمام –عليه السلام–. حين ينصح بصيغة الأمر الذين تمسكوا بأذيال الدنيا معتقدين و جازمين بأنها دائمة لهم. أما الزاهد عنها لا ينظر اليها نظرة مودع لها، راحل عنها عما قريب.

عرف الشريف الرضي المنبع الصافي والعذب واختار من نفائس اللغة وبلاغتها و تعبيرها وأحسن الاختيار فكان أن لمع نجمه وأبدع في نتاجه الشعري والأدبي ولم يكتف بذلك فقد عزز مستواه العلمي. وكأن نهج البلاغة مصدره وحجته في ابتداع المعاني وانتهاج الطريق السليم والقصير في نظم القصائد لما يحتوي من المفردات الغزيرة التي تشيد في قصائده واثاره بأسس راسخة وجميلة وتسد كل ثغرة يمكن أن تحصل.

ذكر الخصوم بالخير والترفع

لكل من يبلغ العلى في سريرته وعلمه و نسبه، يكثر حساده والذين ينقلبون إلى اعداء وخصوم. نراهم يبثون سمومهم في كل اتجاه ويكيدون له في كل مناسبة، حتى يصلوا إلى ما تبتغيه نفوسهم المريضة.

لقد ورث الشريف الرضي عن أبائه وأجداده الخلق الكريم والعفة والترفع فهو سليل أهل البيت –عليهم السلام– والذي قال الله (جل جلاله) في حقهم ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾[٣٥]. وأهل بيت الرسول –صلى الله عليه وآله وسلم– هم أصحاب الكساء الذين اصطفاهم الله [٣٦] فمن بلغت به هذه المكانة فقد تحلى بالحصافة والرفعة والأخلاق و نادرا أن تجدها عند فريق أخر الذين لم يؤمنوا بما يمتلكه اهل البيت –عليهم السلام– من حظوة ورفعة. لقد بلغ الإمام علي –عليه السلام– مرتبة العصمة، إلا نفر قليل من اصحابه والذين التزموا بعهودهم وبيعتهم له، ومن ثم ليس بغريب عليه أن يذكر خصومه ومن ناصبوا

٣٤– ديوان الشريف الرضي ص١٧٠
٣٥– سورة الأحزاب آية ٣٣
٣٦– مجمع البيان لعلوم القرآن الجزء الثامن ص١٧٢

http://abu.edu.iq

له العداء بالرحمة والدعاء لهم بالمغفرة والعودة إلى جادة الصواب، نجده يقول ناصحا قومه وأصحابه حين سمع رهط منهم يسبون أهل الشام أيام حربهم في صفين فيقول -عليه السلام-

((إني أكره لكم أن تكونوا سبابين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم، اللهم أحقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا، وبينهم، وأهدهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به))[٣٧].

بهذه النفس التي اصطفاها الله ورسوله والتي أعطت للبشرية دروسا في الأخلاق والتواضع والتسامح والعفو لمن اساء لها، على الرغم من سموها وعلى كافة الأصعدة التي يتخيلها الفكر البشري منذ الأزل إلى يومنا هذا.

ورث الشاعر شريف الرضي هذه الأخلاق ليترجمها بقالب يناسب عصره وما يحيط به من مجتمع قد ابتعد ولو بفترة قصيرة عن صدر الإسلام قياسا لما نحن عليه في الوقت الحاضر. حين وجد فيها الدرس العظيم في ترسيخ الثوابت كي لا تتغير، لكن الطبائع البشرية تتحول وربما تبتعد عنها. لذا نجده يقول في إحدى قصائده و المعنى والمضمون نفسه، فقد عرف كيف يسبر خلقه ويداري غضبه بحلمه، ويثبت انه ذو خلق رفيع، لا يرد الإساءة بمثلها، وإنما يجعل من العتب المبطن بنوع من التهديد والتلميح بالفوارق الأخلاقية والثقافية، ومن هنا يجعل من يريد أن يرميه بسهام الهجاء أن يفكر أكثر مما يستوجبه الأمر لو كان الخصم غير الشريف الرضي. فنجده يقول في احدى قصائده [٣٨].

حـــذارك أن تغـــالبني غـــلابا ... فـــأني لا ادر علـــى الغضـــاب
وانـــك إن أقمـــت علـــى أذاتي ... فتحـــت إلى انتصـــاري كـــل باب
واحلـــم ثم يـــدركني إبائـــي ... وكـــم يبقـــى القـــرين علـــى الجـــذابي

إلى أن يقول وقد عاد يذكر بقومه الذين تعلم منهم التسامح والتسامي فقول

وتظهـــر أســـرة مـــن ســـر قـــومي ... تمـــد إلى انتظـــاري بالرقـــابي
وتصـــبح لاتـــني عجبـــا وقـــولا ... اهـــذا الحـــد اطلـــق عـــن ذبابي

كان باستطاعة الشريف الرضي أن يرد على من هجوه بالمثل ويسلك نفس المنهج المعروف عند الشعراء بالدخول في معارك هجائية من أجل الثأر لنفسه. لكن هنا تظهر القيم والأخلاق الرفيعة والعالية.

وينشد في قصيدة أخرى [٣٩]

لـــئن حـــرقتني عـــذلا ... لقـــد نوهـــت بي صـــعدا
فطلـــت الاطـــولين عـــلا ... وفـــت الأبعـــدين مـــدى
علـــي طـــروق وردكـــم ... ولـــيس علـــي أن أردا

٣٧- نهج البلاغة خطبة ٢٠٦ ص٢٩٨
٣٨- ديوان الشريف الرضي ص١٥٢، ١٥٣
٣٩- ديوان الشريف الرضي ص٢٢٧

http://abu.edu.iq

الصداقة والإخوة

عرف عن الأمام علي -عليه السلام- بعلاقته الاجتماعية المميزة وبوفائه الثابت في الوعود والعهود وإخلاصه لأصدقائه وقد جعلهم بمرتبة الإخوان ولا يسعنا في هذا البحث ان نتطرق لروابط المحبة التي زرعها في قلوب الأصدقاء وهم كثر ومن أشهرهم عمار بن ياسر والمقداد وعبد الله بن عمر وعبد الله بن العباس وغيرهم -رضي الله عنهم- حين يقول -عليه السلام-

((اعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم))[٤٠]

اقتبس الشريف الرضي من هذه الحكمة الذهبية ليطبقها في تعامله مع أصدقائه، حتى ولو كانوا من غير ملته وهو الذي عرف عنه ولاؤه ومحبته لصديقه ابي إسحاق الصابي الذي عايشه ويصاحبه ويحثه على أن يطالب بحقوقه المتمثلة بتبوئه كرسي الخلافة وكان من اقرب مستشاريه [٤١].فراح يترجم قول الإمام علي -عليه السلام- في قصيدة كتبها إلى صديق له يسأله عن حاله بعد أن ألمت به نكبة وهو يخفف عنه المصاب والحسرة و الألم حيث يقول:

اذا كان الاسى داء مقيما ... ففي حسن العزاء لنا شفاء
وما ينجي من الايام فوت ... ولا كد يطول ولا عناء[٤٢]

وفي مناسبة أخرى يكتب إلى احد أصدقائه فيقول

كفى حزنا أني صديق وصادق ... ومالي من بين للأنام صديق
فكيف اريغ الأبعدين لخلة ... وهذا قريب غادر وشقيق [٤٣]

عزز الشريف الرضي قول الإمام علي -عليه السلام- بالعمل لا في القول فقط، وترجم هذا العبارة مع معظم الناس الذين عاشرهم، حين وضع لهم القواعد الصادقة للصداقة، اولها الوفاء واخرها النصيحة، مقدسا لقوانين الصداقة وحرمتها. حين يقول [٤٤]

اذا قل مال المرء قل صديقه ... وفارقه ذاك التحنن والود
واصبح يغضي الطرف عن كل منظر ... انيق ذاك التحنن و الود

موقف الإمام علي -عليه السلام- من الأعداء

ينقلنا عليه السلام إلى تعامل أنساني قلما نصادفه عبر التاريخ حين يتعامل مع أعدائه بروح عالية جدا من التسامح والمحبة والإنسانية، وهو المنتصر والمقتدر عليهم مما جعل من أسلوبه هذا مدرسة يتبعها كل ذي لب يدعو إلى العيش الإنساني الذي جاءت به الشريعة الإسلامية السمحة، ودليل على انه صاحب الحجة، يدعمه بذلك حلمه الكبير الذي يحجب الانتقام عند المقدرة فهو القائل ((الحلم والأناة توأمان ينتجهما علو الهمة))[٤٥]. ولو تتبعنا التاريخ لوجدنا الذين خاصموا الأمام علي -عليه السلام-، مستغلين

٤٠- نهج البلاغة ص ٤٣٤
٤١- ديوان الشريف الرضي ص٣وتاريخ الأدب العربي . شوقي ضيف ص٣٧١ج٥ سنة
٤٢- ديوان الشريف الرضي ص٢٧
٤٣- المصدر نفسه ص٥٧٤
٤٤- ديوان الشريف الرضي . ج١ص٢٥٩
٤٥- نهج البلاغة . ص٥٠٤

http://abu.edu.iq

فيه صفاته الحميدة و صبره، فما خاصم احد على الحق بل خاصموه -عليه السلام- من اجل الحق. وهو القائل -عليه السلام- ((أول عوض الحليم من حلمه أن الناس أنصاره على الجاهل))[٤٦]. فراح -عليه السلام- يوصي بهم جاعلا من وصيته عنوانا وفصلاً كبيرا في حقوق الإنسان والعفو عند المقدرة حيث يقول في خطبة طويلة نقتطف منها هذه العبارة.

((إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه)) [٤٧]

لو دققنا النظر مليا في قوله -عليه السلام- لوجدنا يحمل في طياته معاني كثيرة اختزلها بهذه العبارة التي اعطت السامع كل ما يريد. نجد الشاعر الشريف الرضي يأخذ العنوان ليصوغه شعرا وبالتالي يجعل منه شعارا من حيث التعامل سواء أكان على الصعيد الفردي أم الرسمي أي العام حين قال [٤٨]

غـدونا علـى الأعـداء نحمـي مـودة وتمنـــع عـــن أطرافهـــا أن تمزقـــا

يرى الشريف الرضي أن من ينتصر على خصمه يحاول ان يغتم منه كل ما يستطيع سواء كان المغنم مادي أو معنوي، فكيف به وهو يحاول ان يحافظ على مكانة خصمه ويجعلها في اطر القداسة حتى لا تستمر العداوة والبغضاء، وعندها يزرع المودة والرحمة ويجعل من العدو صديقا ولو بعد حين.

وننتقل إلى مقولة أخرى تمثلها الشريف الرضي وعبر عنها وأطرها بأسلوبه الشعري محاولا أن يبلغ بها ما بلغت أقوال الإمام علي -عليه السلام-من عذوبة في المعنى وتأثيرا في النفس. على رغم من قلة مفرداتها لكنها تملك من خزين المعاني وتعطي كثيرا من الدروس وخاصة الذين يملكون البصيرة والعقل الواسع فقد ذكر -عليه السلام-.((ما كل مفتون يعاتب)) [٤٩]

ويقصد بالمفتون الذي دخل في الفتنه دون أن يعلم ما هي أسبابها ؟ وما هي نتائجها؟ بل جرته عاطفته إليها، ولم يحدد ما نوعها سواء أكانت في المجال السياسي أم الاجتماعي وحتى على صعيد العلاقات الشخصية فقد قال فيه الشريف الرضي [٥٠]

تضيق صـدور العتـب والعـذر أوسـع ويجمـح طـرف الهجـر والـود أطـوع
لـــك الله مـن قلـب مـلاه وفـــاؤه فلـــيس لعـــذر في نواحيـــه مرتـــع

لم يكتف الشريف الرضي من توظيف المعنى، بل استخدم بعض المفردات مثل (العتب)التي لو لم يستخدمها لكان هنالك خلل فيما قاله، حيث الاختيارات التي تعامل معها الإمام علي -عليه السلام-لا يوجد افضل وارقى منها، وحينها حاول الشريف الرضي لابد من استعملها وشرحها وتسليط الضوء على ما تختزله من معنى، ولو الشيء القليل منها.

لقد عرف الإمام علي الدنيا وخبرها كثيرا وله مواقف يندد بها وبتلونها أو تقلبات الدهر الذي لم يكن يوما يأمن منه واليه حين وقد وصفه بعبارات تشع منها الحكمة والنصيحة وإنها تدل على علمه الغزير وتقواه الذي لم يبلغ اليه سوى النبي الأكرم -صلى الله عليه وآله وسلم- فقد أوضح في قوله -عليه السلام-

---

٤٦- المصدر نفسه . ص ٤٦٣
٤٧- نهج البلاغة ص٤٣٤
٤٨- ديوان الشريف الرضي . ص٥٧٥
٤٩- نهج البلاغة . ص٤٣٢ / المفتون . المجنون . والفتنة (بكسر الفاء) وهو مصدر على وزن مفعول وفي قوله تعالى ﴿بأيكم المفتون﴾(سورة القلم اية ٦) المعجم الوسيط . ص٦٧٣
٥٠- ديوان الشريف الرضي . ص٥٠٨

http://abu.edu.iq

((إذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره، وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه)).[٥١]

لقد رسم لنا في هذا القول السديد قاعدة حقيقية كانت وستظل إلى قيام الساعة، حيث لا تبديل ولا تغير في فحواها ونتائجها، مبينا أن كل من زهت لهم الدنيا واستقام لهم الدهر وألبسهم حلته لا يملكون كل الصفات التي خلعت عليهم أو سلبت منهم والتاريخ مليء بمثل ما ذكر وصور.

على هذا المعنى راح الشريف الرضي يجسد هذا المعنى بأبيات شعرية يعاتب بها الدنيا في طبعاها حين تدبر، ويذكر من تقبل عليه، أنها كما وصلت إليه فسوف تصل لغيره حين قال في قصيدة طويلة نقتطف منها ما يصور لنا هذا المعنى[٥٢].

ومـــن يمـــلأ الايام بأســـا ونائـــلا وتثـنى لـه الاعنـاق خوفـا ومطمعـا
اجلـى اليـه ذلـك الخطـب مقـدما وقـــد كـــان لا يلقـــاه الا مروعـــا

يقصد الشريف الرضي في الابيات السابقة ان من كانت له الدنيا طوع بنانه يأمر ويطع، وتنحني له القامات إما طمعا أو خوفا، وتهتف له الألسن تمجيد ورفعة. فلما تدبر عنه فيكون تابعا للذين تبعوه بالأمس مطيعا لمن امرهم. وهذا درس لكل ذي عقل سليم.

طبقات الرجال

قال الإمام علي -عليه السلام- في تبيين النفوس وتقييم الرجال، وما يمكن للمرء أن يتحلى بأخلاق عالية وكريمة حتى يصطفى من الذين يملكون الهمم العالية ويحملون من الصفات التي تميزهم عن أقرانهم أو أضدادهم، وتجعل منهم ذا اثر فعال في نفوس الآخرين كي يسموا إليهم من تنقصه صفاتهم. وهذه الصفات التي حددها -عليه السلام- وبصورة واضحة لا التباس فيها، والمتمثلة بالشيم المعروفة، بالكرم والشجاعة والإباء والنصيحة حين يقول -عليه السلام- وهو خير الرجال

((قدر الرجال على قدر همته، وصدقه على قدر مروءته، وشجاعته على قدر أنفته، وعفته على قدر غيرته))[٥٣]

إنَّ هذا التفصيل الدقيق لمعدن الرجال وكلا حسب خاصيته لا يمكن أن يرتقي إلى الحد الاقصى من كل صفة يمكن ان يرتقي اليها حتى يوصف بصفتها ويعتلي مكانتها، وهذا لا يمكن لأي فيلسوف أن يعطي مثل هذه الصفات إلا إذ كان يتحلى بها ويمتلكها وقد اثبت ذلك في حياته.، والتي تعتبر حكمة ومقياساً في تصنيف الرجال إلى ثلاثة اشكال، الاول يعرف من خلال همته حين توكل له الامور ويوضع في سدة المسؤولية، والثاني وقدرته على كبح عواطفه والوقوف بجانب الحق أين ما دار، وهذا يتطلب شجاعة أمام لومة لائم، وهذا لا يتأتى الا وقد بلغت في نفسه العفة القلب واليد. لهذا وجد الشريف الرضي ضالته بهذه المقولة فراح يترجم معانيها في قصيدة له مستهلا بهذا المعنى[٥٤]

اياك أن تســـــخو بوعـــــد لـــيس عزمـــك أن تفـــي بـــه

٥١- نهج البلاغة. ص٤٣٤
٥٢- ديوان الشريف الرضي ص٤٨٣
٥٣- نهج البلاغة ص٤٤٠
٥٤- ديوان الشريف الرضي ج١ص١٤٩

http://abu.edu.iq

فالصـــــدق يحســـــن بالفـــــتى والكـــذب يحســـب مـــن عيوبـــه
واذا قـــــدرت علـــــى الوفـــــاء فعـــد عـــن غـــدر و ذيبـــه

إن وقوف الشريف الرضي على ما يقصده الإمام علي -عليه السلام- من قبيل السير على النهج والمعنى الذي توحي اليه المقولة، حيث شكلت له رؤية ونظرة إلى الرجال وميزتهم وطبقاتهم ورسمت الفوارق بين ما يثبت على العهود وقدرته على الوفاء بها، جاعلا من الصدق منهجا وطريقا في البلوغ إلى مصافي الرجال والحد الفاصل بين تصنيفهم وتمييزهم. و اعتبرت كقاعدة.

إلى أن يصل بقوله وهو يضع همته و شجاعته موضع المفاضل[٥٥]

مـــا مقـــامي علـــى الهـــوان وعنـــدي مقـــول صـــارم وانـــف حمـــي
واباء محلـــــق بي عـــــن الضـــــيم كمـــــا راغ طـــــائر وحشـــــي

وانتقل في مكان اخر يقول: [٥٦]

أحـــب الي مـــن ســـعي هجـــين وان بلـــغ العلـــى جـــد هجـــاني
يـــــذم لي الزمـــــان اذا الامـــــت يـــــداه ولا يـــــذم بي الزمـــــان

لقد اختصر الشريف الرضي كل المعاني التي نوه بها الأمام علي بن أبي طالب -عليه السلام- واختزل معانيها الواسعة بهذه الأبيات مفتخرا بنفسه أولا ومدل عليها لكونها من رموز الرجال ومقياس واضح لتقسيمهم وترتيب مكانته ضمن الأعراف الإنسانية عموما والإسلامية خصوصا وهي والواضحة والمنتشرة بين العرب.

خطبه -عليه السلام- في الحث على الصبر

لقد كانت خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -عليه السلام-تزخر في ترويض النفوس وجعلها في دائرة السيطرة، حين جعل الصبر علاجا لها. فقد قال -عليه السلام-[٥٧]:

(الصبر صبران: صبر على ما تكره وصبر عما تحب)

للنفوس رغبات وتحتاج إلى ان تجمح حين تدعو إلى ما تهوى فخير وسيلة في ذلك هو التصبر والتأني حتى لا تدخل في دائرة الندم، وحينها ربما لا تنفع الأعذار، فلو طعمت بهذا الدواء أي الصبر، حينها قد تجاوزت كل المطبات.

بحكمته الكبيرة قسم لنا الصبر إلى قسمين. صبر على ما تشتهيه النفوس وصبر عما تكرهه. ومن هنا راح -عليه السلام- يوافينا بحكم واقوال يحذر من خلالها على عدم الركون إلى منهج اصبر حين قال (من حذرك كمن بشرك)[٥٨]

لقد رسم لنا الشريف الرضي معتمدا على الصورة التي استوحاها من خطبته -عليه السلام- لوحة تحمل طابعاً انسانيا راقياً، محددا العلاقة التي يجب ان تكون بين رغبته و الخلق الذي يجب أن يتحلى به غير

٥٥- المصدر نفسه ص٩٧٢
٥٦- المصدر نفسه ص ٩٥٨ . الهجين / اللئيم والهجان الرجل الكريم . معجم الوسيط ص ٩٧٤
٥٧- نهج البلاغة ص ٤٤١
٥٨- المصدر نفسه ص٤٤١

http://abu.edu.iq

مهتم بمنطق الربح أو الخسارة حين استلهم المعنى وسيره ضمن ما يتحلى به من رفعة وعزة واباء حين قال [٥٩]:

ولم ادر أن الـــدهر يخفـــض اهلـــه	اذا سـكنت فـيهم النفـوس الضـراغم
ومـا العـيش الا فرحـة ان هجرتهـا	سـطوت علـى الـدنيا بسـطوة حـازم
سأصـبر حـتى يعلـم لصـبر انـني	ملكـت بـه دفـع الخطـوب الهـواجم

هنا رسم لنا الشاعر لوحة عمادها الصبر وما تهوى الانفس في موقع القدرة والسطوة مؤكدا ان دوام الحال من المحال. مستوحيا معانيها من قول الإمام علي -عليه السلام- حين وتجاوز عن جني ما تعطيه العجلة من مخاطر يبدو تأثيرها أو مفعولها ولو بعد حين. مؤكدا انه أي الشاعر كان من الممكن ان يستثمر الظرف لكنه كبح جماح رغباته معتمدا على ما تعلمه من حكم الزمان. والعاقل من اتعظ من اخطاء غيره

التنفير من الدنيا ومغرياتها

عرف الإمام علي -عليه السلام- الدنيا وخبرها، حين يذكر نفسه واصحابه في كل مناسبة مؤكدا بأنها زائلة ومن ركن اليها وامنها فهو مغرور، لأنها موصوفة بالغدر وعدم الامان حين يقول وصفا لها وبصورة دقيقة [٦٠]:

(دار بالبلاء محفوظة، وبالغدر معروفة، لا تدوم احولها، ولا يسلم نزالها، احوال مختلفة، وتارات متصرفة، العيش فيها مذموم، والامان فيها معدوم، وإنما أهلها فيها أغراض مستهدفة، ترميهم بسهامها وتفنيهم بحممها)

في هذا التعريف الواضح والمعاني البارزة التي لا تختفي عن كل ذي بصيره، وخاصة الذين وهبهم الله الحكمة والمعرفة، لم يركنوا اليها ولم يسعوا في شأنها، ولم تأخذهم مغرياتها، وتبهرهم زخرفتها. من هذا المعنى الواسع تلقف الشريف الرضي واخذ يغوص في ما تحتويه من دروس وعبر وحكم حين كتب قصديته البائية قائلا [٦١]

دنيـا تضـر ولا تسـر وذا الـورى	كـل يجاذبهـا و كـل عاتـب
تلقـي طرفـا فـأن هـي اعرضـت	نزعـت ولـو أن الجبـال جـواذب
هيهـات يا دنيـا وبرقـك صـادق	ارجـو فكيـف اذا وبرقـك كـاذب

إلى ان يقول

والنـاس امـا قـانع أو طـال	لا ينتهـي او راغـب او راهـب
واذا نعمـت فكـل شـئ ممكـن	واذا شـقيت فكـل شـئ عـازب

عرف الشريف الرضي كيف يقطف معاني الكلمات من الخطبة الشريفة ليجعل منها باقة جميلة تحمل كل ما يصبو اليها اللبيب، حين وصف الدنيا بالغدر دون ان يذكر هذه الكلمة في البيت الاول، لأنها وان سرت صاحبها فأن عمر سرورها قصير ولا يدم، فإذا تغيرت نزعت محاسنها وتبدلت إلى اضداد. من

٥٩- ديوان الشريف الرضي ص ٨١٣
٦٠- كتاب نهج البلاغة. خطبة رقم ٢٢٦ ص٣٢١
٦١- ديوان الشريف الرضي ص٦٦

http://abu.edu.iq

خبر الدنيا وعرفها بأن بريقها كاذب كالسراب يظهر ليخدع البصر، وعندما يحن الواقع لا نجد فيها السعادة وما يتمناه. ومن هذا الفهم والواقع قسم الناس إلى قسمين منهم من هو قانع بحاله، ومنهم يشده الطمع والطموح إلى ابعد من ذلك فكان منهم الراغب بها والمتمسك بتلابيبها، ومنهم من هو راهب وراغب عنها. وهو الفائزون

القناعة

تمثلت القناعة في جوانب عديدة كلا حسب دورها فلو كانت في العلم فقد بخس طالب العلم نفسه، اما اذا في المال والجاه وما يتعلق بالدنيا فأنها المنجدة والمسعفة. وقد اشار الامام علي -عليه السلام- في احاديث كثيرة ومناسبات عديدة نختصر ما قاله في هذا الحقل.

(كفى بالقناعة ملكا)[٦٢].

فمن تحلت اخلاقه بالقناعة فقد ملك السعادة وما تعطيه من نعيم وتجعل من نفسه مطمئنه ليومها وغدها، وتجعل من طموحه بحدود الممكن. وبهذا تكون عينه على الله في كل مطلب.

عرف الشريف الرضي أن يترجم هذا المفردات التي هي قليلة في العدد كبيرة في المعنى في قوله: [٦٣]

قد قلت للرجل المقسم امره	**فوض اليه تنم قرير العين**
رد الامور إلى العليم بغبها	**و تلق ما يعطيكه بيدين**
الله انظر لي من النفس التي	**توي وأرأف بي من الابوين**

فقد فسر القناعة واعطاها المعنى الصحيح والمختصر، المتمثل برجوع إلى الله عز وجل وجعل الامور بيده، وان ما قدر فهو الذي يصل الينا لا غير، غرم كل الجهود العبد الذي بوسعه ان يقوم بها الا ان الذي ما قرر له يناله لا غير. وعند ذلك يجعل للمقدر له الامان والاطمئنان، كيف لا والله احرص على عبده من ابويه. بهذا العبارة يختم قصيدته التي في الواقع تحمل من الحكمة والموعظة، المشتقات من افكار سيد الحكمة والمعرفة

الخاتمة

لا يملك المرء أن يقف أمام شخصية كبيرة كما وجدناها عند الشريف الرضي -رحمه الله-فقد عرف عن نسبه فهو اطهر الأنساب كيف لا وهو سليل لرسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-وعن علمه فهو قد ورثه عن أجداده وآبائه ناهيك عن أنه قد تتلمذ على يد كبار عصره، كان يغرف من علومهم ليخزن في عقله الكبير فكان أن أهلته درجته العلمية أن يفقه قول سيد الفصحاء وإمام البلغاء ويفرق بين الصحيح منه والمنحول حتى استطاع أن يجمع نسبة عالية جدا من كلام وخطب وأقوال الإمام علي -عليه السلام-، ولم يكتف بذلك بل بها تأثر كثيرا وبما جمعه من أقوال وحكم حتى استطاع أن يصوغ معانيها ومضامينها صياغة شعرية يعتمدها في قوافيه وقصائده، فأنتج لنا تحفة أدبية تضم في مكنوناتها كل القيم الإنسانية التي جاء بها الدين الإسلامي الحنيف.

٦٢- نهج البلاغة ص٤٦٦

٦٣- ديوان الشريف الرضي ص٩٠٢

http://abu.edu.iq

نحن نقف أمام شخصية تحتوي في كل جوانبها العلم والمعرفة والعفة والشرف والعاطفة الرقيقة والتي أنتجت لنا الغزل العفيف، أن لهذه الشخصية المؤهلات الكاملة لتقود ألأمه الإسلامية وتتبوأ كرسي الخلافة، من هنا حذره الخلفاء

فقد تبين ذلك ومن خلال البحث أن معاني الحكمة المتمثلة بالزهد في الدنيا، والحث في كسب الآخرة، ونشر كل القيم التي جاء بها الرسول الكريم -صلى الله عليه وآله وسلم- والتي وردت في أقوال الأمام علي-عليه السلام- و خطبه ووصاياه، قد استفاد منها الشريف الرضي وصاغها بقالب شعري جميل وبذلك اتحف ديوانه الشعري. وعن طريقها أيضا كسب الخلود في مضمار الشعر وتميز عمن سبقه أو من عاصره وحتى عن من تخلفوا عنه

إنَّ هذا الجهد القليل والمتواضع لم يعطِ الموضوع كل حقه ولم يأخذ بجميع جوانبه لذا نوصي الذين لهم إلمام في الشعر عموما وباللغة خصوصا أن يعيروا هذا الموضوع أهمية أكثر ليستخرجوا هذه النفائس من بطون الكتب ويرفدوا المكتبات بها لسدِّ الفراغ العلمي والأدبي في هذا الحقل وليعينوا من هم بحاجة إلى العلم والمعرفة من جانب ومن جانب أخر يزيحوا غبار الجهل عن هذا الإرث الثمين والنادر.. وفقنا الله لما هو خير.

The words and speeches of Imam Ali Ben Abi -Talib (peace be upon him) have great influence in proving Arabic culture with plenty of vocabularies and lots of subjects which contributed in helping many intellectual and talented people to develop their linguistic and literary capability 0 This brought Arabic literature and rhetoric to its peak 0Consequently, this made Arabic competes.

The only two sources of Imam Ali's talk and culture are the Holy Quran and Holy Sunna0 This is turn immortalized Arabic and saved it from loss 0Accordingly, the book of Peak of Eloquence is considered as an important for poets and of letters in all ages for having a store of linguistic vocabularies and meaning which denote ac sense of wisdom and lessons0

Al- Sharif Alradi deduced this valuable masterpiece and knew how to stem from it what the scholars and writers need0He became such a poet,scientist and a linguist that no poet can be compared to him0After reading his anthology critic gets mixed to the extent that he was described as the greatest poet of Arabic 0Due to the circumstances which he underwent in his life made him psychologically worried, tense,and revolting0

Such a personality resulted from the hardships and disasters which he sustained well as family 0 Therefore was honest and straightforward according to the social standards 0 Even in love poetry which was characterized by chastity and decency0Inside himself, he felt revolting after he felt isolated and he is relatively the uppermost and the most talented 0

http://abu.edu.iq

Accordingly, he went assuring his opponents and loving people enough through his talents and his unlimited passion that he qualified enough to overlie the throne of culture and literature in his time.

The paper is divided into three section.Section one focuses on his name,lineage, and his upbringing. Section two addresses Imam Ali's eloquence and their role the preservation of religion that was revealed to his cousin the prophet Mohammed. the third and final secludes the way by which Al-Shreif Alradi made use of Imam Ali's word wisdoms and how to formulate their meaning and topics in form of poetry.

المصادر

القرآن الكريم.

٢- تاريخ الادب العربي /٥ عصر الدولة والامارات (الجزيرة العربية – العراق – ايران) دار المعارف مصر ٢٠٠٧.

٣- تاريخ الادب العربي – احمد حسن الزيات – طبعة ث٣٦ بيروت.

٤- الجامع في تاريخ الأدب العربي-الأدب القديم حنا فاخوري منشورات ذوي القربى- الطبعة الثالثة . مصر سنة ١٣٢٧ هـ.

٥- ديوان الشريف الرضي – مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت ١٣١٠.

٦- الشريف الرضي جهوده النحوية – د. حازم سلمان الحلي – بغداد – كلية الفقه – الجامعة المستنصرية ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦ م.

٧- الشريف الرضي في رثائه – افتخار عارف الوساسي – منشورات مكتبة المثنى – الطبعة الاولى – سنة الطبع لا توجد.

٨- عبقرية الشريف الرضي . زكي مبارك . دار الجميل . بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م

٩- فهرست اسماء مصنفي الشيعة – ابو العباس احمد ابن علي بن احمد ابن عباس النجاشي – مطبعة مجهولة – سنة الطبع ١٣١٧هـ.

١٠- الكنى والالقاب – الشيخ عباس القمي – المطبعة الحيدرية . نجف – ١٣٧٦ هـ.

١١- مجمع البيان لعلوم القرآن – ابو علي الفضل ابن الحسن الطبرسي – مطبعة رويال كرافيك ١٣٧٨هـ ١٩٥٨م.

١٢. المعجم الوسيط . المكتبة الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع . القاهرة ١٣٩٢/١٩٧٢

١٣- نهج البلاغة – شرح الشيخ محمد عبده – الطبعة الاولى – بيروت . سنة ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م

١٤- نهج البلاغة بين صحة النسبة إلى المؤلف وتوثيق النص – دراسة في كتاب نهج البلاغة – د. منصور مذكور شلش و د. صبري ابراهيم السيد – مجلة اهل البيت – العدد ١١ نسيان ٢٠١١

١٥- يتيمة الدهر . عبد الملك بن محمد بن اسماعيل . الملقب ابو منصور الثعالبي القاهرة ٩٦٥

http://abu.edu.iq